

د. ميسون محمد عبد الواحد

## المحاضرة الثانية

### عنوان المحاضرة: ( موقف الاسلام من الشعر والشعراء )

لقد اهتمت الدعوة الإسلامية منذ أيامها الأولى بالشعر والشعراء ، وأحلّ الرسول صلى الله عليه وسلم الشعراء مكانا بارزا ومهما لدورهم في الدفاع عن الإسلام. وإذن فقد اهتم الإسلام بوظيفة الشعر ، واعتنى بتوجيه مضمونه ، فأراد بذلك أن يسمو بالشعر والشعراء وأن يجعلهم أداة بناء وإسعاد بعد أن كانوا من قبل أداة هدم وشقاء.

وكثيرا ما نسمع بعض الناس يردد أقوالا مفادها أن الإسلام وقف موقف المناويء من الشعر ، وأن القران هاجم الشعراء لأنهم لبسوا ثابتين على العقيدة ، وأن أهواءهم تقودهم ، لكن الواقع ليس كذلك ، فعندما جاء الإسلام ، أنقسم الشعراء تجاهه إلى فريقين : الفريق الأول آمن به وآزره ، ودعا إلى تبني مبادئ الإسلام في شعره ، والفريق الثاني وقف ضده مدافعا عن المبادئ الجاهلية التي كانت سائدة حينذاك شاهرا سلاحه الشعري ضد انتصارات الدين الجديد ، وذلك لأسباب اقتصادية واجتماعية ودينية ، ، وقد كان الفريق الأول يمثله الشعراء المسلمون الأوائل لاسيما شعراء المدينة الأنصار الذين نصرروا النبي وآزروه والمهاجرين معه وآخى الرسول الكريم بين أهل المدينة المنورة وبين ضيوفهم المهاجرين وكان على رأس شعراء الفريق الأول ثلاثة شعراء هم : حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة ويمثل الفريق الثاني الشعراء الذين آثروا عدم الإسلام وهم شعراء قريش أمثال : عبد الله بن الربيعي وأبي سفيان بن الحارث وهبيرة بن أبي وهب ، ويؤيدهم في هذا الموقف شعراء اليهود الذين نكثوا عهدهم مع الرسول في حسن الجوار مثل كعب بن الأشرف والربيع بن الحقيق ومرحب اليهودي ، بالإضافة الى شعراء بعض القبائل العربية التي كانت حليفة لقريش مثل أمية بن أبي الصلت.

ومثلما هاجم الاسلام بعض الشعراء لموقفهم المعادي لمبادئه وتعاليمه ، فانه اتخذ موقف المناصر والمشجع للشعراء الذين دافعوا عنه ووقفوا يصدون عنه هجوم الأعداء ، وهذا يعني أن الدين الإسلامي اتخذ ومنذ البداية مواقف تنسجم وطبيعة المرحلة التي يمر بها.

وحتى يتبين موقف الاسلام من الشعر فلا بدّ من تناوله على النحو الآتي:

### أولاً- موقف القرآن الكريم من الشعر والشعراء :

هناك من زعم أن الإسلام وقف من الشعر موقف العدا . و ذم الشعراء وألحقهم بالغواية والمنافقين واستشهدوا بالقرآن الكريم ، فقالوا بأن الله ذم الشعر والشعراء في قوله الكريم في سورة الشعراء : (وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ أَلَمْ تَرَى أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ) ووقفوا في قراءاتهم واستشهادهم عند هذه الآيات ولم يتمموا القراءة لأنهم علموا أنها لا توافق ما ذهبوا إليه .

والقرآن الكريم يقول بعد ذلك : (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ) فالقرآن الكريم لم يذم الشعر بإطلاقه ولم يذم الشعراء بعامتهم ، فالذي فعله القرآن الكريم هو تقسيم الشعراء إلى فريقين : ( فريق مع الله إيمانا وطهرا وصدقا وتضحية ، وفريق مع الشيطان كفرا وفجورا وزيفا وضياعا ) ، وميز في الشعر اتجاهين أحدهما يدعو إلى الشر وإلى إثارة النعرات ويشهر بالأعراض ويقترح المنكرات والآخر يدعو إلى الخير وينشر السعادة وينتصر للمظلومين وينافح عن عقيدة الدين .

وإذا نظرنا إلى الآيات التي وردت في ذم الشعر والشعراء لوجدنا أنها تكذيب للمشركين الذين زعموا أن القرآن شعر . والدليل على ذلك: قوله تعالى في آية أخرى: " إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ " ، فالحديث عن القرآن، ونفي الشعر عن النبي -صلى الله عليه وسلم- نفي للشعر عن القرآن؛ لأن الرسول إذا لم يكن شاعرا فمحال أن يكون القرآن الذي جاء به شعرا. وأما قوله تعالى في سورة يس: " وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ " . فقد ذكر العلماء أن الله تعالى منع نبيه

من قول الشعر؛ حتى لا يشتبه القرآن بالشعر؛ وحتى لا يجد الطاعنون مجالاً للطعن حين يسمعون القرآن.

و قوله تعالى: ( بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر ) هذه الآيات تعد دفاعاً عن القرآن ضد مزاعمهم أنه شعر ، فهو لم يكن شعراً ، والرسول الكريم ليس بشاعر ، فلم يرو المؤرخون بان الرسول قد نظم شعراً مع أنه أفصح العرب وأشدهم بلاغة كما في قوله: ( إني أفصح العرب بيد أني من قريش ).

وفي معرض الحديث عن الأسباب التي أدت إلى تنزيه الرسول - صلى الله عليه وسلم - عن أن يكون شاعراً ، يحدد السيوطي جملة أسباب وراء تنزيه الرسول عن أن يكون شاعراً نجملها بالآتي:

١- إن للشعر شرائط لا يسمى الإنسان بغيرها شاعراً ، وذلك أن أنساناً لو عمل كلاماً مستقيماً موزوناً يتعدى فيه الصدق من غير أن يفطر أو يتعدى أو يأتي فيه بأشياء لا يمكن كونها سبباً لما سماه الناس شاعراً وقد سئل بعض العقلاء عن الشاعر فقالوا: ( إن هزل أضحك وإن جد كذب ) فالشاعر بين كذب وإضحاك وإذا كان كذلك فقد نزه الله نبيه - صلى الله عليه وسلم - عن هاتين الخصلتين وعن كل أمر دني.

٢- إنا لا نكاد نرى شاعراً إلا مادحاً ضارحاً أو هاجياً ذا قذع ، وهذه أوصاف لا تصلح لنبي ، فإن قال فقد يكون من الشعر الحكمة كما قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (( إن من البيان لسحراً وإن من الشعر لحكمة )) قيل له إنما نزه الله نبيه عن قول الشعر لما ذكرناه ، فأما الحكمة فقد آتاه الله من الذكر القسم الأجل والنصيب الأوفر في الكتاب والسنة.

٣- ومعنى آخر في تنزيه الرسول عن قول الشعر إن أهل العروض مجمعون على أنه لا فرق بين صناعة العروض وصناعة الإيقاع إلا أن صناعة الإيقاع تقسم الزمان بالنغم وصناعة العروض تقسم الزمان بالحروف المسموعة ، فلما كان الشعر ذا ميزان يناسب الإيقاع والإيقاع بالحروف ضرب من الملاهي لم يصلح ذلك لرسول الله . ويرى بعض الباحثين سبباً آخر لتنزيه الرسول عن قول الشعر . مستندا إلى ما يأتي:

وذلك لأن العرب شأنهم في ذلك شأن الشعوب الأخرى في نظرتها إلى الأدباء والفنانين كانوا يظنون بعقول الشعراء فيعتقدون الظنون أحيانا بان بهم ما يشابه الجنون، قال تعالى: {ويقولونَ أننا لتاركو آلهتنا لشاعرٍ مجنونٍ} أو إن بعض الشياطين يوحون إليهم بما يجري على ألسنتهم، وكذلك عرفوا بأنهم سلكوا مسلكا غير خلقي يتسم بكثرة من الإسراف واللغو والإقبال على الملذات المادية من خمر وميسر ، كما عرف الشعراء منذ القدم باللغو والكذب وفي تجاوزهم الحق في المديح أو في استخدامهم القول اللاذع في الهجاء وهذا لا يليق بالرسول - صلى الله عليه وسلم.